في نشأة علم الأناسة عند المسلمين : أبو الحسن علي المسعودي والرحلة لاكتشاف و معرفة الآخر

أ.د إبراهيم جدلة
مدير مخبر " النخب و المعارف و المؤسسات الثقافية بالمتوسط "
جامعة منوبة /تونس

مما لا شك فيه أن علم الأنتروبولوجيا كعلم قائم بذاته حديث نسبيا حيث يرجع ظهوره في أوروبا إلى نهايات القرن الثامن عشر و خاصة خلال القرن التاسع عشر حين أصبحت الأنتروبولوجيا تدرس في الجامعات مع تعدد مراكز البحث و كراسي البحث الخاصة بها و التي أعطتها ذاتيتها كعلم مستقل من أهم العلوم الإنسانية. لكن في نفس الوقت لا يخفى علينا أن بوادر البحث في الإنسان ودوره الحضاري و تصرفاته الاجتماعية قديمة جدا و لا أدل على ذلك ما كتبه اليوناني هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) و اللّاتيني بلينوس (القرن الأول بعد الميلاد) وخاصة ما كتبه بعض علماء المسلمين و أشهرهم على الإطلاق أبو الحسن علي المسعودي (ت 346 هـ /957م) الذي قام بالعديد من الرحلات إلى أصقاع مختلفة و ترك لنا العديد من الكتابات أشهرها على الإطلاق : مرووج الذهب ومعادن الجوهر (في أربعة مجلدات) و التنبيه و الإشراف (مجلد واحد). وتزخر هذه الكتابات بالمعلومات الطريفة و العلميّة عن مختلف شعوب المعمورة في تلك الفترة وبالمعطيات الدقيقة عن عاداتها و تقاليدها ومظاهر حضاراتها...و سنتناول في هذا البحث المحاور التالية:

+ شخصية أبي الحسن علي المسعودي و آثاره و طريقته في وصف المناطق التي زارها و حديثه عن العادات و التقاليد التي رصدها.

+ الفكر العلمي و المنحى الأنتروبولوجي عند المسعودي .

+ المسعودي وثقافات شرق آسيا : الصين والهند.

المسعودي وطريقته في وصف المناطق التي زارها:

من هو المسعودي؟

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي، نشأ ببغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة. ونحن لا نعرف تاريخ ولادته بالضبط لكن باعتبار أنبداية رحلاته ترجع إلى سنة 301 هـ / 914م نرجح أن ولادته كانت ببغداد على الأقل سنة 280هـ /893م أي أنه شرع في تنقلاته وهو في بداية العقد الثالث من عمره أو أكثر من ذلك بقليل. وحسب ما ذكره هو بنفسه خرج من بغداد سنة 301 هـ / 914م و قام برحلة أولى زار فيها بلاد فارس و كرمان ثم انتقل بعد ذلك في رحلة ثانية زار فيها بلاد الهند و صيمور و بعض المناطق الغربية من الصين وأخيرا في طريق عودته نجده يستقر لمدة وجيزة في مدينة بومباي وكان ذلك سنة 304هـ /917م . ويبدو أنه منذ ذلك الحين لم يستقر له قرار فقد زار عمان و سيلان وبلاد الأناضول ونجده في أخريات حياته بمصر حيث كتب " التنبيه والإشراف" سنة 345هـ / 956م قبيل وفاته بقليل سنة 346 / 957م وقد نبه إلى ما يمكن أن يصيب كتابه هذا من سهو أو خطأ قائلا :" على أنا نعتذر من سهو إن عرض في تصنيفنا مما لا يسلم منه من لحقته غفلة الإنسانية و سهوة البشرية **ثم ما دفعنا إليه من طول الغربة و بُعد الدار وتواتر الأسفار طورا مشرقين و طورا مغربين...**" [1]

كتب المسعودي ما لا يقل عن 34 كتابا لم يصلنا منها إلا ثلاثة وهي: مروج الذهب و التنبيه والإشراف وجزء صغير من كتاب أخبار الزمان . وحسبما يظهر من كتاباته فقد كان ملما بعلوم مختلفة مثل الفلك و الجغرافيا والفلسفة و الأدب والإخبار إضافة لمعرفته بلغات الشعوب التي زارها مثل الفارسية و اليونانية و الهندية و السريانية فهو كثيرا ما يعطينا تفسيرات لبعض المصطلحات المستعملة آنذاك من ذلك مثلا حديثه عن تسمية الروم للعرب ب: " ساراقينوس" حيث يقول: " تفسير ذلك عبيد سارة طعنا منهم على هاجر وابنها إسماعيل، و إنها كانت أمة لسارة ... والروم إلى هذا الوقت تسمي العرب ساراقينوس"[2]. وهو يعطينا فكرة واضحة عن مؤلفاته قائلا : " ذكرنا في هذه الكتب الأخبار عن بدء العالم و الخلق و تفرقهم على الأرض و الممالك و البر و البحر و القرون البائدة والأمم الخالية الدائرة الأكابر كالهند و الصين و الكلدانيين – وهم السريانيون– و العرب و الفرس واليونانيين و الروم و غيرهم ، و تاريخ الأزمان الماضية و الأجيال الخالية والأنبياء وذكر قصصهم وسير الملوك وسياساتهم و**مساكن الأمم وتباينها في عبادتها، واختلافها في آرائها وصفة بحار العالم وابتدائها وانتهائها واتصال بعضها ببعض وما لا يتصل منها وما يظهر فيه المد و الجزر...." [3]**

وفي "مروج الذهب ومعادن الجوهر" يقول المسعودي: " ولم نترك نوعا من العلوم و لا فنّا من الأخبار ولا طريقة من الآثار إلاّ أوردناه في هذا الكتاب مفصّلا أو ذكرناه مجملا..."[4] وهذا يعكس اهتمامه بالإنسان وبما يحيط به إلى درجة تقترب كثيرا بما يقوم به الأنثروبولوجيون المعاصرون ، خاصة أنه اهتم أساسا بوصف الجماعات و الأفراد ومجال و كيفية عيشهم وطرق إنتاجهم.وكانت معلوماته في الكثير من الأحيان تعتمد على البحث الميداني والمشاهدة المباشرة فهو كثيرا ما يستعمل عبارة " وقد رأيت" وأحيان يستقي معلوماته بالسماع من خلال روايات يستقيها من ثقاة اتصل بهم.

طريقة المسعودي في الكتابة وأسلوبه في الوصف:

قدّم المسعودي في كتاباته العديد من المعلومات الأنثروبولوجية المهمة عن شعوب المناطق التي زارها وذكر النباتات و الكائنات الحية و الأجناس البشرية و الصفات الجسمية للسكان مع التأكيد على عاداتهم و تقاليدهم بخصوص المأكل و المشرب والطقوس الخاصة بالإحتفالات والأفراح العامة والخاصة أو التي تخص المآتم و الجنائز.

يعتبر المسعودي من أوائل العلماء المسلمين الذين حاولوا الربط بين المحيط الطبيعي و الإنسان فهو يرى أن للهواء تأثير مباشر على تغير أحوال الحيوان والإنسان و تصرفاتهم و أخلاقهم. و قد استعمل هذه النظرية أثناء حديثه عن مختلف الشعوب و الأقاليم ، فعندما تحدث عن الأتراك قال : " لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم و تشابهت...ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم و قل ولدهم...وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل..." [4]

و أثناء حديثه عن الزنج يقول المسعودي : " ودوابهم البقر وليس في أرضهم خيل و لا بغال ولا إبل، و لا يعرفونها ، وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ...و منهم أجناس محدَّدة الأسنان يأكل بعضهم بعضا" [5] وهو يصف سكان بلاد السودان عامة وهو ما يعبر عنه بأهل الربع الجنوبي كالزنج وسائر الأحابش بقوله: " فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة فاسودّت ألوانهم و احمرّت أعينهم وتوحشت نفوسهم وذلك لالتهاب هوائهم...حتى احترقت ألوانهم و تفلفلت شعورهم..." [6]

وقد حاول المسعودي تطبيق هذه النظرية كلما تحدث عن شعب من الشعوب مثل الصقالبة والإفرنج و الماغول الذين عبر عنهم بالترك الموغلين نحو الشمال و هو يفسر شكل هؤلاء قائلا : " وغلبت الرطوبة و البرودة على مساكنهم فاسترخت أجسامهم و غلظت ولانت فقارات ظهورهم

وخرز أعناقهم ...وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم فاستدارت وجوههم و صغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه حين تمكنت البرودة من أجسادهم إذ كان المزاج البارد يولد دما كثيرا ، واحمرت ألوانهم إذ كان من شأن البرودة جمع الحرارة وإظهارها" [7] . ومهما كانت صحة هذه المعلومات ومهما كان مدى إثباتها علميا فإنها تعكس قدرة المسعودي على التأويل من جهة وتشبعه بروح البحث من جهة أخرى فهو لا يورد الأخبار فقط بل يحاول دائما إعطاءنا تفسيرات ولو كانت تبدو غير منطقية أحيانا و الأهم من كل ذلك أنه من العلماء القلائل الذين اهتموا مبكرا بالإنسان و مجال عيشه وكيفية تصرفه ولم يكن سيتأتى له ذلك لولا تشبعه بنفس علمي عميق لتفسير الظواهر الطبيعية و البشرية.

الفكر العلمي و المنحى الأنثروبولوجي عند المسعودي:

من الملفت للإنتباه أن المسعودي (الذي كما نعرف عاش في النصف الأول من القرن الرابع هجري) كان من أوائل علماء المسلمين الذين تحدثوا عن كروية الأرض و وجودها في مجرة تحكم فيها قوانين الجاذبية وتفسيره لحركة المد والجزر في البحار وحديثه عن النهار القطبي الذي يدوم ستة أشهر والليل القطبي الذي يدوم ستة أشهر أيضا...

و يؤكد المسعودي كروية الأرض دون تردد قائلا: " وأما الدلائل على أن السماء على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة ، و أن الأرض بجميع أجزائها من البر و البحر على مثال الكرة، وأن كرة الأرض مثبتة في وسط السماء كالمركز وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صغرا ... "[8] هذا التصور العلمي للكون جعله يقبل بكل سهولة فكرة وجود مواضع في الأرض (القطب الشمالي و القطب الجنوبي)تبقى فيها الشمس شهورا لا تغرب وتغيب عنها شهورا لا تطلع [9]. وفي هذا المجال العلمي يحاول المسعودي تقديم تفسير لظاهرة المد و الجزر مقدما التفسير الميثولوجي المتداول عند عامة الناس وهو :" قول بعض أهل الشرائع إن المد والجزر من فعل ملك وكله الله عز وجل بذلك في أقاصي البحار، يضع رجله أو بعض أصابعه فيها فتمتلىء، فيكون المد ، ثم يرفعها فيرجع الماء

إلى موضعه فهو الجزر..."[10] غير أن المسعودي لا يقتنع بهذا التفسير الخرافي الذي يعتمد على أمر إلاهي يصبح من الكفر تكذيبه فأضاف تفسيرا آخر يقترب أكثر من المسائل العلمية وقد أضاف قائلا: " وتنازع الأوائل في ذلك من فلاسفة الأمم و حكمائهم أهو من أفعال الشمس ام من أفعال القمر عند زيادة النور فيكون منه المد أم عند نقصانه فيكون الجزر".[11] هكذا قدم لنا صاحبنا تفسيرا قريبا مما نعرفه الآن وهو جاذبية القمر. وقد خصص صفحات كاملة لاستعراض مختلف التفسيرات لهذه الظاهرة التي اختلفت حولها شعوب البحر في المناطق التي زارها.[12]

و بصفة عامة كان المسعودي يربط دائما بين الموقع الطبيعي والشرط البيئي وظروف عيش الإنسان والحيوان من ذلك تأكيده على اختلاف هذه المجالات و تأثيرها على الأبدان ذاكرا ثلاثة أسباب:" كمية المياه التي فيها وكمية الأشجار و مقدار ارتفاعها وانخفاضها"[13]. و قدم لنا الكثير من المعلومات حول النبات والحيوان والمياه التي تحدث بإطناب عن طعمها (العذب و الملح و الدسم والحلو والحامض و المر و القابض و الحرّيف) كما ذكر خاصياتها الغذائية و العلاجية[14]. وفي علاقة الإنسان بالحيوان ذكر لنا المسعودي عدة أمثلة عن وضعيات التكامل و الصراع بين الطرفين وهو يورد كل ما رآه طريفا أو عجيبا او غريبا و إن تعددت الأمثلة التي ذكرها فسنقتصر على مثالين فقط حول تعامل القرد مع الإنسان ومحاربة الإنسان للفيل من أجل استغلال أنيابه. يصف لنا رحالتنا نوعا من القردة، في بعض المناطق الجبلية الهندية، منتصبة القامات مستديرة الوجوه تشبه صورة الإنسان وهي في غاية الفهم لا ينقصها إلاّ النطق وهي تفهم بالإشارة حتى ان بعض الملوك علمها القيام على رؤوسها بالمذاب على موائدها، وقبل أن يأكل الملك يلقي للقرد من طعامه فإن أكله أكل الملك منه وإن اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه[15]. وفي مجال آخر يحدثنا عن طريقة صيد الفيلة في بعض بلاد السودان حيث يستعمل السكان طريقة التخدير قبل قتل الفيل من أجل أنيابه وذلك بطرح نوع من ورق الشجر

المعروف لديهم في الماء الذي سيشربه الفيل عند وروده " فإذا وردت وشربت من ذلك الماء حرقها وأسكرها فتقع و لا مفاصل لقوائمها ولا رُكب...فيقتلونها لأخذ أنيابها"[16].

وتتعدد الإشارات و المعلومات من هذا القبيل في " مروج الذهب" و في "التنبيه و الإشراف" ولعلّ أكثرها طرافة ما اتصل بعادات و تقاليد سكان الصين وسكان الهند حيث أقام المسعودي مدة لا يستهان بها و حيث زار بعض مناطقها واطلع أثناء ذلك عن كثب على هذه المظاهر الحضارية والإنسانية التي تبدو غريبة عن الواقع الإسلامي الذي ينتمي إليه صاحبنا.

المسعودي و ثقافات شرق آسيا: الصين و الهند:

على غرار مناهج الأنثروبولوجيين المعاصرين كان المسعودي بحكم تنقله من إقليم إلى آخر يحرص على ذكر الأجناس البشرية التي يتعرف عليها مع تأكيده في الكثير من الأحيان على صفات السكان الجسمانية دون إهمال ما يلفت انتباهه من عادات و تقاليدوطقوس دينية أو جنائزية واحتفالات.....

يورد المسعودي ملاحظة هامة بخصوص الصينيين تنطبق عليهم إلى يومنا هذا وهي تهم حذقهم الحرف ومهارتهم فيها وقد جاء على لسانه :" **و أما أهل الصين فمن أحذق خلق الله كفّا بنقش و صنعة، وكل عمل لا يتقدّمهم فيه أحد من سائر الأمم. والرجل منهم يصنع بيده ما يقدَّر أن غيره يعجز عنه...**"[17] . وأثناء حديثه عن الحياة اليومية للصينيين سواء كانوا من العامة أو الخاصة فإنه لا يهمل اي جانب فهو يفيدنا بأن زيجاتهم تتميز بكونها خارجية ، فهم يتجنبون الزواج الداخلي (داخل السرة الواحدة أو العشيرة الواحدة): "**وأهل الصين شعوب وقبائل ولا يتزوج أهل كل فخذ منفخذهم...ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية وأنه أصحّ للبقاء و أتمّ للعمر...**"[18] كما أنه يتحدّث باستغراب عن بعض العوائد التي تحكى عن ملوكهم (وبالأحرى فهي تهم أيضا بقية

المجتمع بخاصته وعامته) " بأنهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لأنه داء يؤذي و لا يحتشمون في إظهارها..."[19] ويعطينا إثر ذلك العديد من التفسيرات العلمية لهذه الظاهرة التي نجدها في العديد من المجتمعات الأخرى و ربما استغربها المسعودي لأنها صادرة عن الملوك.

و يشترك الصينيون والهنود في العديد من المظاهر الحضارية كاستعمال العاج بكثرة في التماثيل و بيوت العبادة و الأسلحة والشطرنج[20]. ويصف لنا المسعودي معتقداتهم بإطناب قائلا: "كان كثير من أهل الهند و الصين... يعتقدون أن الله عز وجل جسم و أن الملائكة اجسام لها أقدار و ان الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل و أصناما على صور الباري عز وجل وبعضها على صور الملائكة..."[21] ويفسر بعد ذلك كيف ظهرت الديانة البوذية قائلا : " ولما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقربهم إلى الله و ألفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر "بوداسف" بأرض الهند...فتنبأ و زعم أنه رسول الله ....وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة.."[22]

ولم يكتف المسعودي بإيراد هذه المعلومات بل أطنب في الحديث عن العادات الجنائزية مثل حرق الموتى، وإذا مات ملك من ملوك بعض مناطق الهند " حرق خلق من الناس انفسهم لموته ويدعون هؤلاء : البلانجرية و أحدهم بلانجري و تفسير ذلك المصادق لمن يموت فيموت بموته ويحيا بحياته "[23]. وفي بعض الجزر الهندية في بلاد سرنديب نجد عادات جنائزية فريدة من نوعها وطريفة في الآن نفسه، فالملك عندما يموت يوضع على عربة مجرورة قريبة من الأرض(صغيرة العجلة) ويكون رأسه نحو الأسفل وشعره ينجرّ على الأرض، وتأتي امرأة بيدها مكنسة وتحثو التراب على رأسه وتنادي : " أيها الناس هذا ملككم بالأمس قد ملككم و جاز فيكم حكمه، وقد صار امره إلى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت...و تقول كلاما هذا معناه من الترهيب و التزهيد في هذا العالم، ويطاف به في جميع

شوارع المدينة، ثم يفصل اربع قطع، وقد هيّأ له الصندل و الكافور وسائر أنواع الطّيب، فيحرق بالنار و يذرّ رماده في الرياح و كذا فعل أكثر الهند بملوكهم و خواصهم..."[24]

وقد اورد المسعودي العديد من المعلومات العجيبة عن بعض الإحتفالات و عن بعض النباتات مثل ورق التنبول الذي يجعل الأسنان حمراء لأنَ الهنود يستقبحون الأسنان البيضاء[25] وعن اهتمامهم بالفيلة وتعظيمهم لها. والهند تشرف الفيل" لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة : من علو سمكه و عظم صورته...مع خفة وطئه وطول عمره وثقل جسمه وقلة اكتراثه بما وضع على ظهره..."[26] كما أنهم يستخرجون من عرق الفيل في فترة معينة نوع من الطيب يستعمله الملوك والخواص وله منافع جمة مثل النشاط و الطرب و طلب الباه...[27]

ولعل من اطرف ما أورده المسعودي عن بعض عادات سكان الهند قيام بعظهم بتعذيب نفسه بصفة إرادية ونحن لا نعرف هل هذا يدخل في إطار بعض مذاهبهم العقائدية التي تنادي بتعذيب النفس في الحياة الدنيا للحصول على الأجر في الحياة الآخرة أم أن هذا العمل غرضه التقرب من الملك الذي يعتبر ممثلا للآلهة و بالتالي تكون عملية التعذيب الذاتي و كأنها ترمي إلى فداء الملك و تقبل الشر مكانه. يقول المسعودي : " ومنهم (أي بعض السكان من الهند) من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراق نفسه، فيدور في الأسواق و قد أججت له النار العظيمة و عليها من قد وكل بإيقادها ثم يسير في الأسواق و قدامه الطبول و الصنوج، و على بدنه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه وحوله أهله و قرابته و على رأسه إكليل من الريحان و قد قشر جلده عن رأسه و عليها الجمر والكبريت و السندروس ، فيسير و هامته تحترق و روائح دماغه تفوح و هو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل ...ففيهم من إذا اشرف على النار و قد صارت جمرا كالتل العظيم يتناول بيده خنجرا – ويدعى الجريء عندهم – فيضعه في لبته..."[28] كان المسعودي شاهد عيان على نوع من هذه الممارسات وذلك في سنة 304 هـ/ 917 م عندما أقام ببلاد صيمور من بلاد الهند. ومن الغريب مما جاء على

لسانه في هذه الشهادة لأحداث عاشها في هذه المناطق أن بعض المسلمين كانوا يقومون بهذه العمال وكأن الغرض من ذلك هو إبراز شجاعتهم وعدم خوفهم من النار و لا الموت . يفيدنا المسعودي أنه يوجد بصيمور حوالي عشرة آلاف مسلم : سيرافيين و عمانيين وبصريين و بغداديين إضافة إلى مجموعة تعرف بالبياسرة ومفردها بيسر وهم الذين ولدوا من المسلمين بارض الهند وقد رأى أحد فتيانهم يقوم بعملية قتل نفسه على الطريقة التي تم ذكرها . يقول كاتبنا : " فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم ، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت و لذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار".[29]

نحن لا نشكك هنا في كلام المسعودي لأنّه كان شاهد عيان لما ذكره و وصفه لكن من حقنا أن نتساءل عن أهداف و أبعاد هذه الممارسات التي اقل ما يقال عنها أنه وحشية وشديدة الشراسة، هل يرجع ذلك إلى دوافع دينية و عقائدية؟ أم يعود ذلك إلى موضة اجتماعية تسعى إلى إبراز جانب القوة و الفتوة لدى بعض الأفراد في إطار تنافس بين المجموعات؟ في الحقيقة تصعب الإجابة الجازمة على هذه الأسئلة خاصة أن المسعودي لم يسع إلى تقديم تفسيرات مقنعة حول هذه الظاهرة الغريبة لكن يمكن أن نتلمس بعض الافتراضات المنطقية اعتمادا على ما جاء في هذه الروايات. قبل كل شيء يمكن أن ندحض العامل الديني العقائدي باعتبار اشتراك المسلمين مع الهندوس في هذه الظاهرة ، يبقى القاسم المشترك لدى سكان المنطقة و هو العامل الثقافي الحضاري الذي يتقاسمه الجميع مثل علاقة الهنود بالنار من جهة وعلاقتهم بالموت من جهة أخرى. لذلك يمكن الرجوع غلى مفهوم التضحية مع تساؤلنا : من أجل من؟ إضافة إلى ذلك يمكن استغلال عبارات المسعودي الأخيرة : " تهاونا بالموت و لذة بالنقلة "حيث يمكن تأويل ذلك بأن المقدم على ذلك العمل يريد إبراز استخفافه بالموت وشجاعته لكن يشوبه اعتقاد أن نقلته إلى الدنيا الآخرة لها مغزى ورسالة وإلاّ فعن أية لذة يمكن

الحديث. يغلب على الظن أن هذه الممارسات هي جزء لا يتجزأ من الثقافات الهندية القديمة وهذه الطقوس لها قواعدها الخاصة ويتعاطاها البعض الذين يريدون إثبات فتوتهم مستعينين ببعض المواد المخدرة لأن الشاب المقدم على حرق نفسه يقوم بذلك وهو يمضغ ورق التنبول و حب الفوفل كما رأينا وهذه النباتات تخدر الإنسان و تجعله لا يحس بتاتا بالألم و ربما تجعل عقله في حالة تتساوى فيها الأضداد و الموت و الحياة....

هذه بعض عينات مما أورده المسعودي في كتاباته بعد ان قام برحلاته شرقا وغربا كما ذكر هو ذلك، وهي تنم عما كان يتمتع به من دقة ملاحظة وتقييده لما أثار تعجبه و استغرابه في هذه المجتمعات. وكان لا يكتفي بالوصف بل يحاول أحيانا التفسير و التأويل من منطلق كونه قادما من مجتمع آخر و هذا التمشي يذكرنا بما يقوم به الأنثروبولوجيون حاليا مع بعض الإختلافات طبعا فهؤلاء يعتمدون قواعد واساليب علمية محددة مسبقا و متفق عليها أكاديميا على المستوى الكوني لكن المسعودي كان مجرد رحالة اجتهد بأن ينقل إلى معاصريه ما خفي عنهم في أصقاع أخرى وهو لا يقل قيمة عما يقوم به علماء الأناسة اليوم فقد كان المسعودي عالم عصره.

خاتمة :

جاء المسعودي في فترة مبكرة و كان من أوائل علماء المسلمين الذين جابوا أقاليم واسعة وبعيدة من العالم، و رغم كونه كان في الصل إخباريا فلم يقتصر عمله على كتابة التاريخ الإسلامي فقط بل اهتم بوصف شعوب المناطق التي زارها و أعطانا فكرة واضحة عن معتقداتها و عاداتها وممارساتها اليومية الخاصة بالعيش و التعايش في ظل مجموعات تختلف درجات تطورها من إقليم إلى آخر. وهو لم يستثن أمة من الأمم المعاصرة له فإضافة للصينيين و الهنود و السودان تحدث عن الصقالبة و الروس و الروم و الإفرنج و الجلالقة و الأتراك و الماغول...ومن الإضافات الهامة التي جاء بها المسعودي وأثرى بها الفكر الإسلامي و الفكر الإنساني عموما أنه لم يتحدّث عن الإنسان فقط

بصفة مجردة بل أورد الكثير من المعلومات عن الإحتفالات مثل : النوروز[30] و المهرجان[31] و عن الشطرنج وعن عجائب من النبات و الحيوان وتطرق أيضا إلى بعض عجائب الدنيا مثل الأهرامات[32] أو منارة الإسكندرية[33] . وكانت أوصافه و معلوماته و تأويلاته اقرب إلى المناهج العلمية منها إلى التأويلات الميثولوحية التي كانت سائدة في تلك الفترة.

وقد ظهر بعد المسعودي العديد من العلماء المسلمين الذين حذوا حذوه في الكتابة بخصوص عجائب الحضارات مثل القزويني صاحب كتاب " عجائب المخلوقات" أو ابن بطوطة صاحب الرحلة المشهورة، لكن أي منهما لم يرتق إلى مستوى كتابة المسعودي و أسلوبه و طريقته في تقديم المعلومات. و كانت كتاباتهما في الكثير من الأحيان بعيدة عن الواقع و تغلب عليها الصبغة الميثولوجية و الخرافية فهي بذلك تفتقد إلى المنحى العلمي الذي ميّز ما قام به المسعودي، وهذا الأخير يبقى رائدا في علم الأناسة عند المسلمين و لو اتبع بقية العلماء خطاه لما أبدعوا في ذلك ولما أضافوا الكثير إلى الحركة العلمية الإنسانية.

قائمة المصادر و المراجع :

1. التنبيه و الإشراف، دار و مكتبة الهلال، بيروت 1981، ص22
2. التنبيه و الإشراف، دار و مكتبة الهلال، بيروت 1981، ص17
3. أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القهر 1948،ج1، ص18
4. أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القهر 1948،ج2، ص231
5. أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القهر 1948،ج2، ص6
6. التنبيه و الإشراف، ص38
7. التنبيه و الإشراف، ص38
8. مروج الذهب،ج2، ص 215
9. مروج الذهب،ج2، ص 215
10. التنبيه و الإشراف، ص78
11. التنبيه و الإشراف، ص78
12. مروج الذهب،ج1، ص 113-117
13. مروج الذهب،ج1، ص 42
14. مروج الذهب، ج2 ، ص27-28
15. مروج الذهب،ج1، ص 196
16. مروج الذهب، ج2 ، ص6
17. مروج الذهب،ج1، ص 146
18. مروج الذهب،ج1، ص 137

19. مروج الذهب،ج1، ص 173
20. مروج الذهب، ج2 ، ص7
21. مروج الذهب، ج2 ، ص236
22. مروج الذهب، ج2 ، ص237
23. مروج الذهب،ج1، ص 211
24. مروج الذهب،ج1، ص 83-84
25. مروج الذهب،ج1، ص 210
26. مروج الذهب، ج2 ، ص 13
27. مروج الذهب، ج2 ، ص 29
28. مروج الذهب،ج1، ص 209-210
29. مروج الذهب،ج1، ص 210
30. مروج الذهب،ج1، ص 223
31. مروج الذهب،ج1، ص 224؛ ج2 ص 197
32. مروج الذهب،ج1، ص 350
33. مروج الذهب،ج1، ص 375